

القهوة

للدكتور احمد زكي استاذ الكيمياء بكلية العلوم

جمال الدين ابو عبدالله محمد بن سعيد الذبحاني شيخ من أسياف
المن عاش في منتصف القرن التاسع الهجري (منتصف القرن
الخامس عشر الميلادي) وكان متوليا لرياسة الأفتاء بعدن ،
تعرض عليه الفتاوى فيقرر منها ما يراه صوابا ويصحح ما احتاج
منها إلى تصحيح . عرض له أمر أقتضى خروجه من عدن إلى
بر الاعاجم ، وأغلب الظن انه الحبشة ، وعاش في أهله دهرأ
يشرب معهم شرابأ لم تعرفه الأ عارب ، فلما رجع إلى عدن
مرض فتذكر الشراب فأحضر شيئا من ذلك الحب وحصه
وطبخه بالماء كما كان يطبخه الأ حباش ، فخفف عنه المرض وذهب
عنه السوء ، ووجد فيما وجد من خواصه انه يذهب بالنعاس
والكسل ويكسب البدن خفة ونشاطأ . وكان من أمر الشيخ
بعد هذا أنه سلك طريق التصوف فصار هو وغيره من الصوفية
يستعينون بهذا الشراب الجديد على السهر وقيام الليل في التعب
والاذكار ، واسموه القهوة ، ومن ثم انتشر شرب القهوة فشمّل
الفقهاء والعوام ، هؤلاء يستعينون بها على مدارس العلوم ،
واولئك للمثابرة والمجادة في معالجة الصناعات والفنون . وبلغت
القهوة مكة فشرّبها بعض الأسياف والقضاة وإرتاب فيها أئمة
آخرون ، أما من شرّبها فرآها شرابأ حلالا طيبأ مما أخرجته
الأرض بأذن الله ، والله يقول « خلق لكم ما في الأرض جميعأ »
واما من أباعها فرآها شرابأ حراما مسكراً يحصل بشربه ضرر
في الأبدان والعقول ، وكان لهم في ذلك جدل طويل وحجاج
مستفيض انقلب إلى محنة وقتة ، وكثر التعصب لها وعليها
من الجانبين ، وشاع التقاطع والتدابير بين الفريقين ، وبلغ

الغضب بنفر من الأتقياء الصالحين البررة الأ طهار أن حدثوا
عن رسول الله ﷺ أنه قال من شرب القهوة يحشر يوم القيامة
ووجهه أسود من أسافل أوانبها

ولم يهل القرن العاشر الهجري حتى ظهرت القهوة في مصر ،
وكان أول ظهورها في الجامع الأزهر برواق اليمن ، فكان اليمانيون
ومن ساءكنهم من أهل الحرمين وبعض العامة يجتمعون
للأذكار والمدائح على طريقته كل ليلة اثنين وجمعة ، فتقدم اليهم
القهوة في ناجود كبير من الفخار الأحمر ، وكان يفترق منها
النيقيب بسكرجة صغيرة ، ويسقيهم الأيمن فالأيمن ، وهم على
الذكر عاكفون ، وكانت تذهب بالكسل والنعاس عنهم ، فكانوا
لا ينصرفون حتى يصلوا صلاة الصبح مع الجماعة من غير عناء
ولا تكلف . وانتشرت في الناس فاجتمعوا على شرابها في بيوت
خاصة بها وفي الأسواق

ومن هذا العهد ظلت القهوة بين مكة والقاهرة تحلل عاما
وتحرم عاما . يناهضها حكام وفقهاء ، ويشايعها حكام وفقهاء ،
تباح فتشرب في الحرم الشريف جهراً ، وتمنع فيعزز شاربها
ويطاف به في الأسواق ، ويكبس العسس بيوتها ويخرجون من
فيها على حالة شنيعة ، بعضهم في الحديد وبعضهم في الحبال ،
فيستجنون ويجلدون .

ولا شك أن المعارضين للقهوة كان منهم أناس يخلصون لها
الكرامة في ذاتها لما كانوا يرون من أثرها السوء فيمن أدمنها من
عامة الناس ، فكثير منهم من تغيرت حواسه وساء عقله
وتكرت هيئته

ولأنها كانت تباع في أماكن على هيئة الحانات يجتمع فيها
الناس من رجال ونساء بالدف والرباب ، أو بالشرنج والمنقلة ،
وغيرها يلعبونها لليسر ، فساء الاتقياء هذا المنظر القبيح ،
ووقع مشهده من قلوبهم موقع سوء

وكان من الناس من يدس الخمر في القهوة فزادت كراهتها عند العارفين بذلك .

أما الحكام ممن كرهوا القهوة ، فكانت أغلب كراهتهم من اجتماع الناس على تلك الصورة ؛ وأوجسوا من هذا التجمهر خيفة . ولما كان حفظ النظام من أوجب واجبات السلطان ، ولما كانت الفتنة من عمل الشيطان ، كان لابد من قتلها قبل أوانها ، وذره بواذر السوء قبل استفحالها .

ولعل أقوى من ناصر القهوة في هذا الصراع مشايخ الصوفية في كل البقاع الاسلامية : أحبوا الذات الالهية وفنوا فيها وتغزلوا وشبوا بها ؛ وكأن الغزل لا يحلو إلا بالصهباء ، والتشبيب لا يكون إلا مع بنت الحان ، فاتخذوا من القهوة خمرهم ، ومن فناجينها كؤوسهم ، وذكروها وأكثرها ذكرها في أشعارهم ، فقال ابن الفارض « سقتني حياء الحب ... » وقال آخر من الأولياء الصالحين يصفها :

شرابُ أهل الله فيها الشفا لطالب الحكمة بين العباد
نطبخها قشراً فتأني لنا في نكهة المسك ولون المداد
فيها لنا تبر وفي حانها صحة أبناء الكرام الجياد
كاللبن الخالص في حله ماخرجت عنه سوى بالسواد
وقال آخر :

وقهوة لا غم تُبقى اذا قابلك الساقى بفنجانها
لا يوجد الغم بحاناتها قد خضع الغم لسلطانها
بماها نغسل أكدارنا ونحرق الهم بنيرانها
يقول من أبصر كانونها أف على الخمر وأدنانها
ولم تكد تستقر القهوة في الشرق العربي حتى تسربت الى أوروبا عن طريق القسطنطينية والبندقية في القرن السابع عشر الميلادي . وأنشئ أول مقهى في إنجلترا عام ١٦٥٢م ، ولم تلق القهوة في الغرب ترحاباً خالصاً كله ، فقد قامت في وجهها معارضة شديدة على نحو ماعائته في الشرق ، ففي ألمانيا كان لابد لتحميم البن من رخصة يعطيها الحاكم ، وفي إنجلترا حاول شارل الثاني أن يحرم المقاهي باعتبارها مراكز للقلق الثورية والنزعات الحادة السياسية . ولكن القهوة شاعت

برغم ذلك ولعبت في الحياة الاجتماعية الأوروبية في القرن السابع عشر فالذي يابيه دوراً ذا خطر كبير . ومن أوروبا انتشرت القهوة في كل بلاد الله ، وكانت اليمن مصدر البن الوحيد الى مختتم القرن السابع عشر ، فأصبح بعد ذلك يزرع في بقاع كثيرة من أفريقية الحارة ، وفي الهند الغربية ، وفي الهند الشرقية ، ولاسيما في البرازيل فهي البلد الذي ينتج الآن نحواً من ثلثي محصول العالم ، والبن له كالكطن لمصر ، وربما كان أشد خطراً .

والبن بذور لثمر شجرة دائمة الاخضرار ، قد تطول إلى ستة امتار والسبعة في منابتها الطبيعية ، ولكنها تقصر عن ذلك كثيراً إذا هي زرعت ، ولهذا الشجر زهر أبيض ناصع يكتسب به عند ازدهاره ، فيكون له رونق وجمال يزيد فيها ما ينفع منه من عطر وطيب ، لذتان للعين والانف لا يطولان ، فعمر الزهر بالغ في القصر ، إلا أن الشجر يزدهر مرتين وثلاثاً وأكثر من ثلاث في العام الواحد . وتطيب الثمرة بعد ازدهارها ببضعة أشهر ، فيحدث من ذلك أنك تجد على الشجرة الواحدة ثمرات من ازدهارات متلاحقة ، بعضها وليد وبعضها بالغ . والثمره خضراء وهي جفّة ، فاذا أخذت في النضوج اصفرت ثم تستحيل إلى لون أحمر قرمزي شديد . وتجنّي الثمرة باليد انتقاء أو تترك حتى تسقط من الشجرة بهزها . وهي بعد ذلك تجفف بفرشها على الأرض في الشمس الحارة ، وقد تترك حتى تجف على أعصانها . ثم يزال عن بذور البن القشر فالذي يليه من غشاء شديد اللصوق بالبذور كان لباً فجف وانضمر وذلك بالدق الخفيف في الهاووين ، أو بضرب البذور بالمطارق . وحتى الفك باليدين يكفي لتخريجها . وهذه طريقة اليمن وما جاورها من البلاد ، ولكن بالبرازيل طرق أحدث من هذه لا تستدعي تجفيف الثمرة بل تدهك بالآلات دهكا فتفصل البذور بذلك عن لب الثمرة الطرى ثم تحمص البذور على ما هو معروف في اسطوانات دوارة فوق النار فتفقد بذلك مقداراً من وزنها لا يزيد على الخمس ، والمفقود ماء وبعض أبخرة تنشأ من تحلل الدهن

سباع البحر كادت تكسب الحرب

مات في الأسابيع الماضية القبطان الأنجليزى «ودوارد» مات في بلدة «رامزجات» بإنجلترا وله من العمر ٨٢ سنة . وهو الرجل الذى خطر له في مدة الحرب أن يجرى تجربة عُدَّت في أول الأمر عرضاً من تلك الأعراض التى تأتى للإنسان وقد أشدَّ خياله واحذوتها لدخول البيمارستانات ، ولكنها عُدَّت في آخر الأمر تجربة لو ساعدها الحظ لانتهت الحرب وحقنت الدماء ولو بغلبة فريق على فريق

تلك التجربة هى رياضة سباع البحر على تتبع الغواصات الألمانية ، وهذه السباع تشبه عجول البحر غير أنها أكبر منها ، وله عُرْف بين واذان كبيرة وحظ من الذكاء وافر

بدأ هذا الرجل باستئذان السلطات الحكومية ، والسلطات فى العادة مرتابة حذرة جامدة محافظة ، ولكن خطر الحرب يحرك الجامد ويذهب بالحذر ، فاذنت له وحشرت اليه مافى البحر من آساد ، فبدأ بدراسة الأصوات التى تصوتها الغواصة فى الماء ، ثم اجتهد فاخترع آلة تنز مثل أزيزها ، وفى بحيرة راض هذه الآساد على إتباع هذا النغم أين سار فى الماء ، فاصبحت تتبعها أحسن اتباع ، وفاقَت فى دلاتها على اتجاه الغواصة كل الآلات الطبيعية المعروفة ، ووضعت على رؤوس هذه الحيوانات البحرية كمات من اسلاك الحديد تمنع أسماك البحر أن تقترب منها خشية أن تسترعى انتباهها فتحدد عن غرضها ، ونجحت التجربة نجاحاً باهراً . ولكن ... عرف الألمان ذلك بطريق الوحي أو الايحاء فأجروا غواصاتهم مثنى وثلاث ورباع فوشوا على السباع الاذان ، وخبوا التجربة للقبطان

oooooooooooo

فى الصيف

للدكتور طه حسين

يبيعه شباب القرش لفائدة مشروعهم

اطلبه من جمعية القرش ٤٥ شارع عابدين تليفون ٥٧٢١٦

تمن النسخة ١٠ قروش وللجملة ثمن خاص

والسكر الذى بالبذر وشيء من الأصل الفعال بالبن المسمى « بالقهوتين » وحرارة التحميص يجب ألا تزيد على ٢٠٠ درجة مئوية بكثير وإلا فقد البن الكثير من عطره . وإذا انتهى تحميصه وجب الاسراع فى تبريده . ثم يطحن بعد ذلك . ويجب ألا يطحن البن بل ألا يحمص قبل طبخه بزمان طويل فانه يفقد عطره سريعاً ، ويجب كذلك حفظه فى أوانى مغلقة فانه شديد الامتصاص للأبخرة والروائح كريهة كانت أو عطرة فيمتص رائحة الجاز والجن الفاسد .

وأهم أغراض التحميص اثنان : أولهما توليد الطيب فيه وتوليد النكهة التى تشهى القهوة إلى النفوس ، فالبن الأخضر خال منهما ، وثانى الأغراض تهشيش الحب ليسهل دقه ، فالأخضر جامد مستعص ، والتحميص صناعة لا يتخذها إلا القليلون

ويحتوى البن على مواد كيمياوية عدة منها عطر ودهن ، وهو كالشاي يحتوى النتين والقهوتين الذى إن شئت أسميته الكافيين وأن سئت فالشابين ، وهو الأصل الفعال فى القهوة والشاي كليهما ، ومن أجله يُشربان ، وهو لا يتغير فى القناة الهضمية وإنما يمتص كما هو فى الدورة الدموية فيذهب إلى المخ فيكون له الاثر المحمود على نحو ما فصل فى مقالة الشاي السالفة : من زيادة فى قوة الفكر واصابة الحكم وامتلاك النفس ، ولكن استحالة الافكار إلى أفعال قد تعطل به ، فيعترى الانسان تردد ، وذلك ليقظة العقل الشديدة ، ويزيد جس الانسان بكل ما سر وساء ، وهو ينعش الجسم ويزيل التعب عضليا كان أو نفسياً ، ويؤخر النوم ويدبر البول . هذه بالطبع فوائد كلها قد تنقلب مضار بزيادة المشروب من القهوة ، فالقهوتين عُنقار سام يصحب التسمم به تلهف إلى الماء وألم فى المعدة والامعاء ، وقىء شديد وإسهال ودوار فى الرأس وإرتعاد فى الأطراف . ويتضح أثر القهوتين من حالة رجل أدخل مستشفى « بلغ » بنيورك به أعراض شديدة من سوء فى الهضم بالغ ، وفقر دم متناه ، وعجز تام عن الحركة ، وأزمة فى القلب بالغة ، وضيق فى الصدر شديد . كان هذا الرجل يشرب فى اليوم ٣٠ فنجاناً من الشاي بلا طعام ؟